

مصادر التدوين التاريخي لمدينة قسنطينة (Cirta – Constantina) في العصر القديم .

Sources of writing history of the city of Constantine(Cirta – Constantina) in the ancient period

مضوي خالدية *

جامعة مصطفى اسطمبولي – معسكر – (الجزائر)

Khaldia.madhoui@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/24 تاريخ القبول: 2024/12/05

● الملخص:

لا يمكن للباحث أن يكتب في تاريخ الحضارات القديمة أو غيرها من الحضارات اللاحقة التي سادت في التاريخ البشري، دون الرجوع إلى المصادر ذات الصلة بالفترة ليستقي منها مادته الأولية، ولما كانت المصادر على هذه الدرجة من الأهمية، جاءت فكرة هذا المقال داعية إلى العكوف المتأنى لدراسة مصادر التدوين التاريخي لأهم الحواضر الجزائرية القديمة، مدينة قسنطينة (Cirta – Constantina)، وذلك من خلال معرفة ماهيتها وأصنافها وظرفية تدوينها، وكيفية الاعتماد عليها من قبل الباحثين، والمصاعب التي تواجههم في التعامل معها، وإبراز أهميتها ودورها في التدوين التاريخي لهذه الحاضرة، وبيان نقائصها ومحدوديتها نتيجة افتقارنا للمصادر الأدبية المحلية بعد ضياع جل ما كتبه المؤرخون المحليون.

كلمات مفتاحية: التدوين التاريخي، قسنطينة، كيرتا، المصادر أدبية، مصادر الأثرية.

Abstract:

The researcher cannot write in the history of ancient civilizations or other later civilizations that have prevailed in human history without referring to period-related sources to derive his raw material, since the sources are of such importance, from there came the idea of this communication calling for an in-depth study of the sources of the historical writing of the ancient Algerian metropolis, the city of Constantine, knowing their nature, the types and the circumstances of their writing, and how to rely on it. Before researchers, the difficulties they face in understanding it, underlining its importance and its role in historical writing, and explaining its shortcomings and limitations due to our lack of sources local literature after the loss of most of what was written by local historians.

Keyword:

writing history, Constantine, Cirta, Literary sources, archaeological sources.

● مقدمة:

تكسي المصادر أهمية خاصة في دراسة تاريخ مدينة قسنطينة (Cirta – Constantina) على غرار المدن والأرياف الجزائرية القديمة باعتبارها معين معلومات لا غنى للدارس عنه، وتزداد أهميتها نتيجة افتقارنا للمصادر الأدبية المحلية بعد ضياع جل ما كتبه المؤرخون المحليون، من هنا جاءت فكرة هذا المقال داعية لتسليط المزيد من الأضواء على مصادر التدوين التاريخي لهذه الحاضرة في العصور القديمة في من خلال الإجابة على العديد من الإشكاليات المرتبطة بهذا الموضوع، لعل من أبرزها ما هي مصادر دراسة تاريخ مدينة قسنطينة في العصر القديم؟ وما هي أصنافها؟ وما هي ظرفية كتابتها؟ وكيف يمكن الاعتماد عليها؟ وما هو دورها ومكانتها في التدوين التاريخي لهذه الحاضرة؟ وما هي المصاعب التي تواجه الباحث في التعامل معها؟

1- ماهية المصادر:

1.1- مفهوم المصادر الأدبية:

ينطبق مصطلح المصادر الأدبية على الوثائق المكتوبة المدونة باختلاف محاورها وصيغها، والمصدر المكتوب هو كل نص عاصر الأحداث أو كان من زمن وقوعها، هذه المصادر (1).

2.1 - مفهوم المصادر المادية:

تمثل المصادر المادية في المخلفات الأثرية الثابتة وهي المنشآت المعمارية المختلفة مثل المقابر و الأسوار والقلاع وبقايا المنازل ومنشآت الري المختلفة وغيرها ، فضلا عن الآثار المنقولة ونقصد بها القطع الأثرية التي يستطيع المرء نقلها من مكان إلى آخر، وتمثل في الأدوات الحجرية ، والفخارية، والمعدنية المتنوعة، وسائر أنواع الحلبي، وأدوات الزينة و المسكوكات والنقوش والنصب وغيرها ، هذه المصادر التي تمثل مصدرا رئيسيا لصياغة تصور متكامل إلى حد ما عن تاريخ وحضارة مدينة قسنطينة (Cirta- Constantina) في القديم (2).

2 - أصناف المصادر وأهميتها في التدوين التاريخي:

1.2 - المصادر الأدبية:

لا يمكن للدارس المهتم بتاريخ أم الحواضر الجزائرية مدينة قسنطينة (Cirta – Constantina) خلال العصر القديم تناول هذا التاريخ دون الرجوع إلى المصادر الأدبية ليستقي منها مادته الأولية ، هذه المصادر التي نميز بينها أصنافا عديدة وهي :

1.1.2- كتابات المؤرخين والجغرافيين الإغريق و اللاتين:

ليس من السهل علي الباحث المهتم بتاريخ هذه المدينة على مر عصورها القديمة إنجاز دراسته بهذا الخصوص، وذلك بسبب الصعوبات التي تواجهه والمرتبطة أساسا بإشكالية انعدام المصادر المحلية الليبية و البونية، وكان لزاما علينا الاعتماد على المصادر الإغريقية واللاتينية (3)، على الرغم من قلة المعلومات المستقاة منها والتي لا تغطي كل جوانب هذا الموضوع، إذ لا يحتاج الباحث إلى الكثير من العناء، ليدرك أنها تركت فراغا تاريخيا كبيرا، بحيث وردت ضمنها إشارات جد مختصرة حول تاريخ المدينة لا يتعدى ذكر اسمها، ووضعيتها السياسية خلال الفترة النوميدية باعتبارها عاصمة

- بورونية (ش)، الطاهر (م)، قرطاجة البونية. تونس، مركز النشر الجامعي، 1999 م. ص 161

² - نفسه، ص 37 .

³ - أحمد علي (ع)، مصادر التاريخ الروماني، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1980.

للمملكة النوميديّة، ثم وضعيتها القانونية أثناء الاحتلال الروماني بصفقتها مستوطنة رومانية، مما يصعب معرفة كل التطورات التي عرفتتها على مر تاريخها القديم.

يتصدر قائمة هؤلاء الكتاب القدامى والجغرافيين والرحالة الإغريق واللاتين، بحسب ترتيبهم الزمني المؤرخ الإغريقي "بوليبوس-Polybius" (200 - 120 ق.م)، الذي يعتبر أول من ذكر هذه المدينة ضمن كتابه السابع والثلاثين من مؤلفه "التاريخ الروماني-Historiae romanae"، وذلك حينما تحدث عن زيارة القنصل الروماني (إسبانيا) "بوليبوس سكيبيو-P.Scipio" لها في سنة 148 ق.م، بعد مرور ثلاثة أيام على وفاة ملكها "ماسينيسا-Massinissa"⁽¹⁾.

أما "كايسوس سالتستوس كريسبوس-C.Sallustius Crispus" (86-34 ق.م) الذي كتب مؤلفا حول "حرب يوغرطة-Bellum Iugurthinum"، فلا نجد يذكرها وهي عاصمة نوميديا وقلبها النابض، إلا في بضع فقرات من كتابه الواحد والعشرين، والسابع والعشرين والثالث والثلاثين، حينما يتعلق الأمر بحصارها، أو تحديد معركة جرت بالقرب منها⁽²⁾.

هذا ويصف لنا صاحب "حرب إفريقية-Bellum Africum" من خلال الفقرتين الأولى والثانية من كتابه الخامس والعشرين، ظروف وملايسات الاستيلاء على هذه المدينة من طرف حلفاء الديكتاتور "يوليوس قيصر-Iulius Caesar" في خضم هزيمة أتباع "بومبيوس-Pompeius" وحليفهم الملك النوميدي "يوبا الأول-Iuba I" في معركة (تابسوس-Thapsus) في شهر أبريل عام 46 ق.م، كما لم يفوته الإشادة بتطورها، إذ كتب يقول في هذا الصدد "....وفي هذا الوقت، أدرك الملك "يوبا الأول-Iuba I" المضاعب التي أصبح يعاني منها قيصر وضعف قواته، ولهذا عمل على استغلال هذه الظروف، وقام بجمع قواته من الفرسان المشاة، واتجه إلى مساعدة حلفائه، ومن جهتهما وحد "ب.سيتيوس-P.Sittius"، والملك "بوخوس الثاني-Bocchus II" قوتهما واتجها إلى مملكته بعد علمهم بمغادرتهم لها، حيث هاجما (كيرتا) المدينة الأكثر ازدهارا في المملكة، وتمكنا من الاستيلاء عليها بعد أيام من القتال، كما تمكنا من الاستيلاء على مدينتين جيتوليتين...."⁽³⁾.

واكتفى "ديودور الصقلي-Diodorus Siculus" (90-20 ق.م) بذكر الحصار الذي ضرب على هذه المدينة من طرف "يوغرطة-Iugurtha" ملك (نوميديا الغربية) سنة 112 ق.م، أثناء صراعه مع ابن عمه "أذربال-Adherbal" ملك (نوميديا الشرقية)، وذلك من خلال مؤلفه "المكتبة التاريخية-Bibliothèque" في الفقرة الواحدة الثلاثين من كتابه الرابع والثلاثين في نسخته الإنجليزية الصادرة في سنة 1967م، وفي الفقرة الثالثة والعشرين من كتابه الخامس والثلاثين في أحدث نسخة فرنسية نشرت في سنة 2014م⁽⁴⁾.

أما الجغرافي "سترابو-Strabo" (64 ق.م - 21 أو 25م) المعروف خطأ بـ "سترابون" والذي زار بلاد المغرب القديم، فهو يتطرق لهذه المدينة في فقرتين من كتابه السابع عشر لمؤلفه "الجغرافية-Geographia"⁽⁵⁾، إذ يشير إليها في الفقرة الأولى باعتبارها عاصمة للمملكة النوميديّة، كما أنه ذكر موقعها ونوها بازدهارها في ظل حكم ملكها "مكييسا-Micipsa"، كما تحدث عن وجود جالية إغريقية بها، وفي هذا الصدد كتب يقول: "...كيرتا عاصمة الملك "ماسينيسا-Massinissa" وخلفائه، تقع داخل الأراضي الماسيلية، إنها مدينة قوية جدا، ومحصنة بكل شيء بفضل جهود

¹- Polybius, Histoire romaine, XXXVII, 16,10, texte traduit et présenté et annoté par Roussel(D) Bruges-Belgique, Gallimard, 1970.

²- Sallustius, Bellum Iugurthinum, XXVI, 9, texte établi et traduit par Ernout(A). Paris, Les Belles Lettres, 1989.

³- Caesar, La guerre d'Afrique, XXV, 1-2, texte établi et traduit par Bouvet(A), corrigé et commenté par Richard(J.C). Paris, Les belles lettres, 1997.

⁴- Diodore de Sicile, Loeb classical Library, XXXIV, 31. Translated by Walton(F.R) and Geer(R.M). Cambridge - Massachusetts, Harvard university press, 1967; Id, XXXV, 23, texte établi et traduit et commenté par Goukowsky. Paris, les belles lettres, 2014.

⁵- Strabon, Géographie de Strabon, XVII, 3,7, texte établi et traduit par Laudenbach(B) commenté par Desanges (J). Paris, Les belle lettres, 2014.

الملك "مكيسا-Micipsa" الذي أسس بها مستوطنة إغريقية وجعلها مستعدة لأي طارئ حيث تمتلك 10 ألف فارس، و20 ألف من المشاة.."، بينما يذكر لنا في الفقرة الثانية العلاقات التجارية التي ربطتها بقبيلة "الفاروزين" إحدى القبائل التابعة لمملكة (موريطانيا).

كان ينبغي انتظار نهاية النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد ومطلع القرن الأول ميلادي، لتظهر أقدم إشارة لهذه المدينة عند المؤرخ اللاتيني "تيتوس ليفيوس Titus Livius" (59 ق.م-17 م) في مؤلفه "التاريخ الروماني - Historiae romanae" الذي يتضمن 142 كتابا، لم يصلنا منها سوى 35 كتابا، وذلك من خلال الفقرة الثانية من الفصل الحادي عشر من كتابه الثلاثين، ، بحيث زدنا بمعلومة مفادها استيلاء الملك الماسيسيلي "صيفاقس-Syphax" على أراضي مملكة (الماسيل) في سنة 205 ق.م، واتخاذها لمدينة (كيرتا) عاصمة - ثانية للملك، هذه المعلومة التي تناقلها من بعده كتاب قدامى وجغرافيون لاحقون مثل "بومبونوس ميلا-Pomponius Mela"، و"أبيانوس-Appianus"، كما تردد ذكر هذه المدينة في العديد من المرات ضمن أحداث الحرب البونية الثانية (218-201 ق.م) الدائرة بين الرومان وحليفهم "ماسينيسا-Massinissa"، والقرطاجيين وحليفهم الملك الماسيسيلي "صيفاقس-Syphax"، وبخاصة في سنة 203 ق.م، بعدما استولى عليها "ماسينيسا-Massinissa"، ونائب القائد الروماني "ليليوس-Laelius" عقب المعركة التي دارت بالقرب من أسوارها⁽¹⁾.

هذا واكتفى المؤرخ "فاليريوس مكسيموس-Valerius Maximius" الذي عاش خلال عهد الإمبراطور "تيبيريوس-Teberius" (14-37 م) بالإشارة إلى نفس المعلومة التي ذكرها "بولبيوس-Polybius" ضمن مؤلفه "أعمال وأقوال مشهورة - facta et Dicta Memorabilia"، هذه المعلومة التي مفادها زيارة القائد الروماني "بولبيوس سكيبيو-P.Scipio" (لكيرتا) بعد مرور ثلاثة أيام من وفاة الملك "ماسينيسا-Massinissa"⁽²⁾.

أما "بلنيوس القديم-Plinius" (23-79 م) الذي ضاعت معظم مؤلفاته البالغ عددها 102 كتابا، ولم يصلنا منها سوى "تاريخه الطبيعي-Naturalis Historia" الذي يقع في 37 كتابا، فهو يشير في الفقرة الثانية والعشرين من الفصل الثالث من الكتاب الخامس من هذا المؤلف، إلى موقعها الجغرافي باعتبارها مدينة داخلية، وكذا إلى وضعيتها القانونية والإدارية في ظل الاحتلال الروماني، بصفتها إحدى المستوطنات التابعة (لإمارة ستبوس-ColoniaSittianorum)، كما أنه يحدد لنا المسافة التي تفصلها عن مستوطنة (روسيكاد-Rusicade) سكيكدة حاليا، وبهذا الخصوص كتب يقول "...تقع مستوطنة كيرتا الستيبانية داخل أراضي (مستوطنات ستبوس) على بعد ثمانية وأربعين ميلا من مستوطنة (روسيكاد)...."⁽³⁾.

يضاف إلى قائمة هؤلاء الكتاب القدامى الذين أشاروا إلى هذه المدينة في كتاباتهم، الجغرافي "بومبونوس ميلا-Pomponius Mela" الذي عاش خلال عهد الإمبراطور "كلوديوس-Claudius" (41-54 م)، هذا الأخير الذي اكتفى بإعادة الكثير من المعلومات التي وردت عند سابقه من المؤرخين وبخاصة "تيتوس ليفيوس-Titus Livius"، بحيث يشير في الفقرة الثلاثين من الكتاب الأول من مؤلفه "الجغرافية-De Chrographia" لموقعها الجغرافي الداخلي، ولوضعيتها السياسية والإدارية في عهد الملوك النوميديين، ثم في ظل الاحتلال الروماني وفي هذا السياق كتب يقول : "... من بين أهم مدن مملكة نوميديا، (كيرتا) مستوطنة الستيباني البعيدة عن البحر، والتي كانت فيما مضى المقر الملكي للملك "صيفاقس-Syphax"، ثم أصبحت عاصمة للملك "ماسينيسا" وخلفاءه من بعده، وكانت جد مزدهرة...."⁽⁴⁾.

¹-Titus Livius,Histoire romaine ,XXX,11,2, texte traduit par Lassère(E).Paris Garnier,1928.

²- Valerius Maximius ,Actions et paroles mémorables ,V, 2,texte établi et traduit par Combès(R).Paris ,Les belles lettres,1997.

³- Plinius,Histoire naturelle,V,3,22, texte établi ,traduit et commenté par Desanges(G). Paris, Les belles lettres ,1980.

⁴-Pomponius Mela,De Chrographia, I,30,texte établi et annoté par Sabilberman.Paris,Les belles lettres 1988.

يعتبر الجغرافي الإغريقي "كلوديوس بطليموس" Claudius Ptolemaei (100 – 170م) وذلك بخلاف سابقه، ولاحقيه من الكتاب القدماء، المؤرخ الوحيد الذي زودنا بمعلومة مفادها استقرار قبيلة "الكيرتزي-Kirtesii" بهذه المدينة وغيرها من المدن المجاورة مثل مدينة (ميلاف Milev-) ميله الحالية، و(ديانا فيتيرانوروم-Diana Veteranorum) عين الزانة الحالية، في الفترتين السادسة والسابعة من الفصل الثالث من الكتاب الرابع من مؤلفه "الجغرافية-Geographia"⁽¹⁾.

أما المعلومات التي زودنا بها الخطيب الروماني "كورنيليوس فرونتو-M. Cornelius Fronto" (ولد حوالي 100م وعاش خلال القرن الثاني ميلادي) أصيل هذه المدينة، من خلال مؤلفه "الرسائل-Epistulae"، فهي لم تتجاوز تلك الإشارات المقتضبة التي يذكر من خلال إحداها، أن (كيرتا) كانت من بين المناطق التي انخزم فيها الجيش الروماني خلال "حرب يوغرطة" مثلما سيرد ذكرها في إحدى رسائله الموجهة إلى الإمبراطور "ماركوس أورليوس-Marcus Aurelius" بعنوان "الحرب الفارسية-De bello Parthico"، بينما يذكر في رسالته الثانية الموجهة إلى "لوكيوس فيروس-Lucius Verus" حادثة حصارها من طرف الملك "يوغرطة-Iugurtha"، كما أنه ساهم من خلال رسالته "إلى أصدقاء-Ad amicos" في تزويدنا باسم شخصين ينتميان إلى فئة "سيناتوس-Senatores"، وهما ابنته "كورنيليا قرانيا-Cornila Gratia"، وصديقه "م. بوستيموس فيستوس-M. Postimius Festus" الذي تولى منصب القنصلية في سنة 160م في فترة حكم الإمبراطور "أنطونيوس النقي-Antonius Pius" (138 – 161)⁽²⁾.

أما المؤرخ الإفريقي "بوليوس أنيوس فلوروس-Publius Annus Florus" (70 ق.م-170م أو 117 – 138م) الذي اعتمد في كتابته على مؤلفات "سالستوس-Sallustius"، و"قيصر-Caesar"، فهو يشير ضمن الفقرة الأولى من الكتاب الثالث من مؤلفه "مجل كل الحروب خلال 700 عام-Epitome Bellorum omnium annorum DCC"، إلى استيلاء القائد الروماني "ميتولوس-Metellus" على هذه المدينة في سنة 108 ق.م، بعد هزيمته للملك "يوغرطة-Iugurtha"، وحليفه الملك الموريطاني "بوخوس الأول-Bocchus I" بالقرب من أسوارها، كما أنه أطلق على هذه المدينة اسم (كيرثا-Cirtha) شأنه في ذلك شأن الجغرافي "بطليموس-Ptolemaei"⁽³⁾.

ولما كان "أبيانوس-Appianus" (95-165م) لم يعاصر هذه الأحداث، فإنه اعتمد على كتابات سابقه مثل "بوليوس-Polybius"، و"سالستوس-Sallustius"، و"تيتوس ليفيوس-Titus Livius" ليشير إلى هذه المدينة خمس مرات ضمن مؤلفاته، بحيث يذكر في الأولى من كتابه السابع والعشرين لمؤلفه "التاريخ الروماني-Historiae romanae"، معلومة مفادها استيلاء "ماسينيسا-Massinissa" على (كيرتا) عاصمة الملك الماسيسيلي "صيفاقس-Syphax" في سنة 203 ق.م، بينما يشير في الكتاب المائة وستة من نفس المؤلف لاعتلاء "مكيسا-Micipsa" الابن الأكبر والمسلم لهذا الملك لسدة الحكم بـ(كيرتا) العاصمة الملكية⁽⁴⁾، كما أنه يذكرها ثلاث مرات في مؤلفه "الحروب الأهلية-Bella Civalia"، وذلك من خلال الفقرة السادسة والتسعين من الكتاب الثاني، والتي تضمنت حيثيات الاستيلاء على (كيرتا) عاصمة الملك "يوبو الأول-Iuba I" من طرف أنصار الديكتاتور "يوليوس قيصر-Iulius Caesar"، وهما زعيم المرتزقة "ب. ستيتوس-P. Sittius"، والملك الموريطاني "بوخوس الثاني-Bocchus II"، بينما يتطرق من خلال الفقرات الثالثة والخمسين والخامسة والخمسين والسادسة

¹- Ptolemaei , Geographia , IV,3,6-7, traduit par C.Muller, Paris, 1901.

² - M.Cornelii Frontonis, Epistulae, De bello Parthico,1, edition Ven den Hout Leipzig(J). Teubner,1988 ; Ibid, Ad Verum imp, II ; Ibid, Ad amicos,II,10.

³-Florus, Abrégé de l'histoire romaine, III,1, texte établi et traduit par Jal(P).Paris, Les belles lettres, 1967.

⁴-Appianus,Histoire romaine,Liber 27, édition traduit par Goukowsky(D), Gaillard(E).Paris, C.U.F,1997-2011.

والخمس من الكتاب الرابع، للحصار الذي ضرب عليها من قبل "ليليوس-Laelius" نائب القائد "كورنيفيكيوس-Cornificius" بروقنصل مقاطعة إفريقية القديمة أثناء صراعه مع "سكتيوس-Sextius" بروقنصل مقاطعة إفريقية الجديدة، ثم إلى حادثة فك الحصار عليها⁽¹⁾. أما "ديوكاسيوس كوكيانوس-Cassius Dio Cocceianus" (155-230م) المعروف خطأ بـ "ديون-Dion" فهو يشير في مؤلفه "التاريخ الروماني-Historiae romanae" إلى تحول هذه المدينة إلى مستوطنة رومانية عقب احتلال الرومان لها⁽²⁾. ويشير المؤرخ الليبي "أوريليوس فيكتور-Aurelius Victoris" (320 أو 327م إلى 390م) الذي لا يستبعد ولادته بمدينة (لبتس ماقنا-Leptis Magna) مدينة لبدة الليبية حالياً، من خلال مؤلفه "قيصرة-De Caesaribus" الذي دونه في عهد الإمبراطور "جوليانيوس-Julianus" (354-363م) حوالي سنة 360 أو 361م، إلى تغيير اسم هذه المستوطنة من (كيرتا-Cirta) إلى (قسنطينة-Constantina) تيمناً باسم ولي نعمتها الإمبراطور "قسنطينوس-Constantinus" الذي أعاد بناءها بعد الخراب والتدمير الذي تعرضت له أثناء الصراع الحربي الذي نشب بين الإمبراطور "ماكسانس-Mascens" و الإمبراطور "ألكسندر دوميتيوس-Alexander Domitius" في سنة 311م⁽³⁾.

أما المؤرخ والكاهن المسيحي الإسباني "بولوس أروزيوس-Paulus Orosius" معاصر "القديس أغسطينوس-Sanctus Augustinus" والذي توفي حوالي سنة 418م، فهو لا يذكرها سوى مرتين في مؤلفه "تواريخ ضد الوثنيين-Histarium libri VII adversus paganos"، في المرة الأولى عندما تمكن "ماسينيسا-Massinissa" حليف الرومان من هزيمة الملك الماسيسيلي "صيفاقس-Syphax" أمام أسوارها سنة 203 ق.م، ومن الاستيلاء عليها قبل أن يتخذها عاصمة لملكه، و في المرة الثانية عندما استولى عليها القائد الروماني "ميتولوس-Metellus" سنة 108 ق.م بعد نجاحه في هزيمة الملك النوميدي "يوغرطة-Iugurtha" وحليفه الملك الموريطاني "بوخوس الأول-Bocchus I" اللذان كانا يقودان 10000 مقاتل⁽⁴⁾.

واكتفي الكاتب المسيحي "ماركوس مينيكوس فيليكس-Marcus Minicius Felix" بالإشارة إلى اسم "التريومفير كيكليوس نتاليس-triumvir Caecilius Natalis" الذي عاش خلال فترة حكم الإمبراطور "كاراكلا-Caracala" (211-217م)⁽⁵⁾، في حين أن دليل رحلة "أنطونينوس-Itinerarium Antonini Augusti" (القرن الثالث ميلادي) و "لوحة بوتنغر-Tabula Peutingeriana" (حوالي 350م) يدرجان اسم هذه المدينة ضمن شبكة طرق مقاطعة (نوميديا)⁽⁶⁾.

2.1.2 - كتابات رجال الدين:

كان لزاماً لمعرفة مختلف التطورات التي شهدتها المدينة والمرتبطة بالجوانب الدينية، وبخاصة ما يتعلق بالديانة المسيحية، البحث في كتابات رجال الدين مثل مؤلفات أسقف (قرطاجة) "تارتليانوس-Tertullianus"⁽⁷⁾ (حوالي 160-توفي حوالي 220-225م)، و "القديس كايكليوس كبريانوس-Cyprianus" (حوالي 200-258م)⁽⁸⁾ و "أوطاطوس-Optatus"⁽⁹⁾ (320-حوالي 392م)، و "أوغسطينوس-

¹-Appianus, Les guerres civiles à Rome, II,96 ; IV, 53, traduction de Torrens(Ph).Paris , les belles lettres,2000.

²-Dion Cassius, Histoire romaine, XLVIII,22, traduit et annoté par Auberger(J).Paris, Les belles Lettres,1995.

³- Aurelius Victor, De Caesaribus, XL, 28, texte établi et traduit par Dufraigne (P)Paris , Les belles Lettres,1975.

⁴-Paul Orose,Histoires contre les païens, V,15,10, texte établi et traduit par Arnaut – Lindet(M.P).Paris, Les belles lettres,2003.

⁵-Minicius Felix, Octavius,9,6,texte établi et traduit par Beaujeau(J).Paris Les belles lettres ,1964.

⁶-Itinerarium Antonini augusti(=Itin.Ant),p11,p17-18.Paris,édition de Fortia,1845;Tabula Peutingeriana (=Tab.peut).Paris, édition de Fortia,1845.

⁷-Tertullianus, Apologeticum,7,2; 9-10, texte établi et traduit par Waltzing(J.P avec la collaboration de Albert Servedyns,2eme Edition. Paris, Les belles lettres, 1961.

⁸-Cyprianus, Ad donatum, I,XII, Patrologie latine(=P.L),T IV. Paris, édition Migne,1844.

⁹-Optat, De Shismate donatistarum, P.L,T X.Paris édition Migne,1845.

Augustinus (354-430م) لمعرفة بعض الحقائق التي لها علاقة بالمبادئ التي قام عليها هذا الدين، وتنظيم جهازه الكنسي، والفئات الاجتماعية التي اعتنقته، و الاضطهادات التي طالت معتنقيه قبل الاعتراف به في سنة 312م، وكذا معرفة تاريخ ظهور الدوناتية بهذه المستوطنة على غرار مدن وأرياف بلاد المغرب القديم المحتلة، وانقسام المسيحيين بها، إلى فريق موالي للكنيسة الكاثوليكية، وفريق دوناتي معادي لها، غير أننا نشير بخصوص هذا الموضوع، إلى ندرة الكتابات الدوناتية التي ضاع معظمها، إذ لم تصل منها إلا بعض المقتطفات من مراسلات الأسقفين الدوناتيين ل(كيرتا)، وهما "كريسكونيوس -Cresconius"، و"بيتيلينوس-Petilianus" اللذان وردت بعض آراءهما في مؤلفين للقديس "أوغسطينوس -Augustinus"، أولها الرد على "كريسكونيوس النحوي الدوناتي -Contra Cresconium grammaticum et donatistam libri quattuor" الذي ضم أربعة كتب ألفها حوالي سنة 405 - 406م، أما الثاني فهو مؤلفه الرد على رسائل بيتيلينوس "Contra Petilianum libri tres" الذي اشتمل على ثلاث كتب⁽¹⁾.

كما تأتي هذه المصادر لتلقي بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وإن كانت تلك الأضواء خافتة، على اعتبار أن رجال الدين لم يعيروا للوقائع غير الدينية إلا اهتماما عابرا، ومع ذلك فإننا نعرف من خلال كتابات القديس "كيريانوس-Cyprianus" ظاهرة انتشار الملكيات الكبرى نتيجة عمليات الاستيلاء على الأراضي، بحيث كتب يقول بهذا الصدد: "...أن الأغنياء خلال القرن الثالث ميلادي كانوا يضمون الضيع إلى الضيع، ويطردون الفلاحين الصغار المتضررين من الضرائب من حدود ملكياتهم..⁽²⁾"، وهي ذات المعلومة التي يطلعنا عليها القديس "أوغسطينوس-Augustinus" من خلال مؤلفه "مدينة الإله"، وغيرها من الحقائق التي وردت في بقية مؤلفاته مثل "الاعترافات" الذي ضمنه حديثا عن وضعية الحرفيين الذين ساءت أحوالهم كثيرا في عصره، حيث أن أجورهم لم تكن كافية حتى لسد نفقات المعيشة، كما أنهم تعرضوا لمضايقات جباة الضرائب، كما أنه لم يتوان من خلال مؤلفه "الرسائل-Epistulae" و"خطبه الوعظية -Sermones" على تسليط الضوء على فئة العبيد، ومصادر جلبهم، وبخاصة مساهمة الحروب في المناطق النائية ببلاد المغرب القديم في توفير عددا هائلا منهم، بعدما حولت عددا كبيرا منهم من أحرار إلى عبيد⁽³⁾.

يتضح مما تقدم ذكره صعوبة دراسة التاريخ القديم ل(كيرتا) نظرا لندرة المعطيات التي تفيدنا بها المصادر عموما، ولانعدام المعلومات التي تسبق القرن الثالث قبل الميلاد على وجه الخصوص، فكل ما وصلنا مجرد إشارات لا تشبع فضول الباحث المتعطش لمعرفة مختلف التطورات التي عرفتها المدينة خلال هذه الحقبة الزمنية الغابرة، مما ترتب عنه عدم إقبال الدراسات الحديثة لتأريخ هذه الحقبة المهمة، هذه الندرة التي لا يمكن إرجاعها إلى عدم وجود هذه المدينة، أو إلى عدم أهميتها، وإنما لجملة من العوامل التي تأتي في مقدمتها انعدام المصادر الأدبية المحلية الليبية، والبونية، واعتمادنا بشكل كلي على مؤلفات الكتاب القدامى الإغريق و اللاتين الذين لم يهتموا بتاريخ هذه المدينة، على غرار باقي مدن بلاد المغرب القديم، إلا عندما يتعلق الأمر بمحدث تاريخي هام له صلة بتاريخهم.

وإذا ما كان عدم اهتمام هؤلاء المؤرخين بهذا الأمر طبيعيا نظرا لاهتمامهم بالدرجة الأولى بالأحداث ذات الصلة بالتاريخ الروماني، فإننا نتعجب للصمت الذي يخيّم على كتابات المؤرخين الليبيين مثل "أنيس فلوروس -Annius Florus"، و"أبوليوس المدورشي -

1 -Augustinus, La Cité de dieu , XX,II, traduction de Gabriel Vidal. Alger, éditions Baunet,1930 ; Id, Confession,I,13,22; I,16,26, traduction de L.Mondadou,Paris,1982 ; Id , Les lettres , Lettre 199 ,traduites en français et précédées d'une introduction par M.Poujoula. Paris, Librairie liturgique – catholique ,1858; Id, Contra Cresconium grammaticum patris donati, P.L ,TXLIII. Paris ,édition Migne,1845 ; Id, Contra litteras Petilianum,I,1,1, I,21,23,II,99,228 , P.L,T XLIII.Paris, édition Migne,1845.

2-Cyprianus, Ad donatum ,I,XII.

3 - Augustinus, La Cité de dieu ,XX,II; Id, Confession,I,13,22; I,16,26; Id , Enarratio in psalmum, 124,7, P.L,TXLIII, éditions Migne.Paris,1845 ; Id , Les lettres , lettre 199.

"Apulius"، و"فرونطون الكيرتي-M.Cornelius Fronto"، ومؤلفات المؤرخ الإغريقي "بوليبوس-Polybius" الذي أتيحت له زيارة هذه المدينة وهي في أوج تطورها وازدهارها في ظل حكم ملكها "ماسينيسا-Massinissa"، كما أنه كان على اتصال مباشر بهذا الملك، بحيث يذكر في كتاباته أخبارا سمعها عنه شخصيا⁽¹⁾.

تتمثل النتيجة الثانية التي توصلنا إليها بعد دراسة هذه المصادر، أنها وإن كانت تساعدنا على معرفة بعض التطورات السياسية والإدارية التي عرفتها (كيرتا) النوميدية والرومانية، إلا أنها لا تسمح لنا بمعرفة كيفية نشأتها وتاريخ ظهورها، وهوية مؤسسيها، ذلك أن أقدم إشارة إليها لا تتجاوز سنة 205 ق.م، باعتبارها عاصمة ثانية للملك الماسيسيلي "صيفاقس-Syphax" مثلما ورد على لسان المؤرخ اللاتيني "تيتوس ليفيوس-Titus Livius" ومؤرخون لاحقون، غير أن هذه المعلومة لها أهميتها، من حيث أنها تؤكد على الدور والمكانة التي وصلت إليه هذه المدينة وليس إلى تاريخ ظهورها هذا من جهة، كما أنها تكشف عن جهل كتّاب هذه المصادر لتاريخ تأسيسها ونشأتها، وبالتالي تدفعنا للبحث عن العوامل التي ساهمت في تبوأها لهذه المكانة السياسية دون غيرها من مدن المملكة.

يضاف إلى هذه النتيجة، نتيجة ثالثة لا تقل أهمية عنها، تتمثل في جهلنا التام بتاريخ حصول هذه المدينة على رتبة مستوطنة بعد خضوعها للاحتلال الروماني، ولا تاريخ انضمامها إلى (إفريقية الجديدة-Africa Nova) بعد حل (إمارة ستيوس-Colonia Sittianorum)، وتبقى المعلومات ناقصة عن تاريخ إلحاقها بمقاطعة (إفريقية البروقصلية-Africa Proconsularis)، بعدما أدمجت بمقاطعة (إفريقية الجديدة-Africa Nova) بمقاطعة (إفريقية القديمة-Africa Vetus)، كما أننا نجهل تاريخ تحولها لعاصمة للمقاطعات الرومانية المستحدثة على امتداد القرون الأربعة للميلاد، على غرار تاريخ ضمها (للكنفدرالية الكيرتية-III Coloniae Cirtensium)، ثم لمقاطعة (نوميديا-Numidae Provincae)، ولمقاطعة (نوميديا الكيرتية-Numidia Cirtensis) بعد التغير الإداري الذي أحدثته الإمبراطور "دقلديانوس-Diocletianus" (284-305 م) في أواخر القرن الثالث ميلادي ومطلع القرن الرابع ميلادي، واريخ إلحاقها بمقاطعة (نوميديا القسطنطينية-Constantina Numidia) أثناء التغيرات التي أحدثتها الإمبراطور "قسطنطينوس-Constantinus" (306-337 م) بعد سنة 314م، أو تاريخ تحولها إلى عاصمة لمقاطعة (نوميديا الموحدة-Numidia Provincae) بعد توحيد (نوميديا القسطنطينية) و(نوميديا العسكرية)، وقد ترتب عن صمت المصادر، آثارا سلبية على الدراسات الحديثة التي تضاربت آراءها، وتعددت فرضياتها، وعسر نتيجة ذلك إلحاحنا الصحيح والدقيق لجوانب مهمة من تاريخ هذه المدينة خلال هذه الحقبة.

أما النتيجة الرابعة التي توصلنا إليها، فتتمثل في أن معلومات هذه المصادر تميزت - على قلتها - بظاهرة التكرار، وبخاصة تلك التي تناولت بعض المعلومات البسيطة حول تاريخ (كيرتا) النوميدية، فالموضوع الذي يتعرض له المصدر الواحد يتكرر في غيره من المصادر، زيادة على أن هذه المصادر، تختلف حول اسمها بين (كيرثا-Cirtha) مثلما وردت عند "بطليموس-Ptolemaei"، و"فلورس-Florus" - بقطع النظر أن الجغرافي الأول زار المنطقة، وأن الثاني مؤرخ ينحدر من أصل إفريقي - و(كيرتا-Cirta) مثلما ذكرت عند بقية المؤرخين الجغرافيين اللاتين والإغريق الذين سبقوا الإشارة إليهم، بل إن هذه المصادر اختلفت حتى حول موقعها، إذ يدرجها الجغرافي "سترابو-Strabo"، و"بلينيوس القديم-Plinius" ضمن المدن الداخلية، بينما يعتبرها "سالستوس-Sallustius" من المدن القريبة من البحر، وقد يتعدى هذا التباين حول اسم المدينة وموقعها، ليطال صحة المعلومة التاريخية ذلك ما ينطبق على "فرونطو-Fronto" الذي ذكر أنها كانت من بين المواقع التي انهزم فيها الجيش الروماني خلال حرب "يوغورطة" (111-105 ق.م)، غير أن "ديزونج-J.Desanges" يعتقد أن المقصود بهذه الواقعة، تلك الهزيمة التي مني بها جيش القنصل

الروماني "بوستيميوس ألبينوس - Postimius Albinus" سنة 109 ق.م بمدينة (سوتول-Suthul) ⁽¹⁾، ونشير بهذا الخصوص، أننا نختلف مع هذا الباحث في رأيه، خاصة وأنها لازلنا نجهل الاسم الحديث لهذه المدينة التي هزم فيها "أولوس-Aulus" شقيق هذا القنصل الذي تولى قيادة الجيش بصفة مؤقتة.

تتمثل النتيجة الخامسة التي توصلنا إليها بشأن كتابات رجال الدين، أن هذه الأخيرة، وإن كانت تساعدنا على معرفة المبادئ التي قامت عليها المسيحية والشرائح التي اعتنقتها، و أتح لنا معرفة موقف السلطات الرومانية من حركة التنصر، إلا أنها لم توضح لنا تاريخ ظهور هذه الديانة بهذه المستوطنة، ولا العوامل التي دفعت أتباعها إلى اعتناقها، كما أنها لم تعرفنا على المبادئ التي قامت عليها الكنيسة الدونانية بعد ظهور الانشقاق الديني، إلى جانب أنها لا تبين لنا كل الأسباب التي أدت إلى ظهور الدونانية، خاصة وأنها لا تشير سوى إلى الخلاف الذي ظهر بين رجال الدين، مهمة بذلك مساهمة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعيشها مجتمع بلاد المغرب القديم بما فيه المجتمع "الكيرتي" في ظل هذا الاحتلال، في ظهور هذا الانشقاق.

كان من الضروري أمام هذا النقص الاعتماد على مصادر أخرى لتغطية باقي جوانب هذا الموضوع، والتي لم تشملها المصادر السابقة الذكر أو اكتفت بالإشارة إليها ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى أربعة أقسام هي كالآتي:

3.1.2- المراسيم و المحاضر الرسمية للتحقيق التي جرت أمام السلطات السياسية الرومانية: وهي تضم المرسوم الذي أصدرته سلطات المحلية للمستوطنة بتاريخ الرابع من سبتمبر سنة 259م والمعروف بمحضر تحقيق القديسين "جاك-Jaques"، و"ماريانوس-Marianus" الذي نص على إلقاء القبض بعض العناصر المسيحية، واقتيادهم إلى سجن (لمباز-Lambaese) تازولت حاليا، حيث أصدر بحقهم حاكم مقاطعة نوميديا بتاريخ 6 ماي مرسوما يقضي بإعدامهم ⁽²⁾.

يضاف إلى هذا المحضر، محضرين آخرين للتحقيق، يعرف أولهما بمحضر تحقيق "موناتيوس فيليكس-Acta Munatii Felicis" الذي أصدره كيراطور المدينة "موناتيوس فيليكس-Munatius Felix" بتاريخ 19 ماي سنة 303م، والقاضي بمصادرة الكتب المقدسة وأملاك كنيسة المدينة، والملاحق التابعة لها، وتفتيش منازل القراء والعاملين بها، في حين يعرف المحضر الثاني بمحضر التحقيق "زينو فيلوس-Gesta apud Zenophilus"، وهو التحقيق الذي أجري في مدينة (تاموقادي-Thamugadi)ت مقاد حاليا، أمام حاكم نوميديا "زينو فيلوس-Zenophilus"، إثر الشكوى التي تقدم بها الشماس "نوندينياوس-Nundinianus" ضد الأسقف الدوناتي لمستوطنة (كيرتا)سلفانوس-Silvanus، يتهمه فيها بتسليمه للكتب المقدسة التي كانت موجودة بكنيسة المدينة في سنة 303م، هذين المحضرين اللذين جمعا مع كل الوثائق المتعلقة بهما في ملحق ضمّ إلى كتاب "أبطاطوس المليي-Optatus de Milev" نشر في سنة 1893م ⁽³⁾، كما نشر هذين المحضرين فيما بين سنوات 1987-1989م من طرف "ماي-J.M Maier"، وقدا في سنة 2000م من طرف "دويفال-Y.Duval"، من خلال طبعة جديدة منقحة، والتي تعتبر آخر نشرية علمية متعلقة بهذا الموضوع ⁽⁴⁾.

¹-Sallustius XXXVII, 3, XXXVIII ; Desanges (J), La Cirta de Salluste et celle de Froton dans, Toujours apporte fait nouveau .Paris,De Boccard 1999, p 112.

²-Actes de Saints Jaques et Marien ,9,édition Ruinard, Acta primorum martyrum .Paris, 1689,pp227-230 d'après Gsell(St),Atlas archéologique de l'Algérie(=A.A.A). Paris, A.Jourdan 1911, f17 n°126p 14.

³- Acta Munatii Felicis, Gesta apud Zenophilum, appendix d'Optat, Corpus Scriptorum ecclesiasticorum latinorum(= C.S.E.L),TXXVI, édition Ziwsa,Vienne,1893, p116-117, p186.

⁴-Maier(J.L),Le dossier du donatisme.Berlin,1987-1989 ; Duval(Y), Les chrétiens d'Afrique à l'aube de la paix constantinienne. Les échos de la grande Persécution.Paris,2000.

تكتسي هذه المحاضر الثلاث أهمية كبيرة في معرفة تاريخ المسيحية بهذه المستوطنة، خاصة وأن المحضر الأول يعرفنا بأول اضطهاد تعرض له مسيحيو هذه المدينة في عهد الإمبراطور "فاليريانوس-Valerianus" (253-268م)، بينما يطلعنا المحضر الثاني على استئناف سياسة الاضطهاد ضدهم — بعد فترة سلم مؤقتة نعم بها المسيحيون بعد وفاة الإمبراطور "سيبتيموس سيفيروس-Septimus Severus" (193-211م) وذلك منذ عهد الإمبراطور "دقلديانوس-Diocletianus" وأسايبه الجديدة التي أقرتها تشريعاته الصادرة فيما بين 303-304م، والتي نصت على سجن رجال الدين، وعلى عدم السماح للمسيحيين بعقد اجتماعاتهم وتأدية شعائرتهم، وهدم كنائسهم، وحجز كل الأدوات التي كانت تستعمل في الطقوس، زيادة على مصادرة أملاكهم العقارية، وحرقت كتبهم المقدسة، كما سمحت لنا هذه التشريعات بمعرفة تنظيم الكنيسة الكاثوليكية سواء تعلق الأمر بالأساقفة والكهنة، والشماسة أو العاملين في الوظائف الدنيا بداخل هذه المؤسسة الدينية.

وتكمن أهمية المحضر الثاني في معرفة كيفية حدوث الانشقاق الديني والأحداث السابقة له، والتي لها علاقة بظهور الدوناتية ليس فقط ب(كيرتا) وإنما ب(بلاد المغرب القديم)، زيادة على ذلك، فإن هذا المحضر يعتبر مصدرنا الأدبي الوحيد الذي يؤكد على تبعية هذه المدينة لمقاطعة (نوميديا) الموحدة منذ هذا التاريخ.

4.1.2- قرارات المجامع الدينية:

لقد ساهم هذا النوع من المصادر الأدبية بقسط وافر في التعريف بتنظيم الكنيسة الكاثوليكية و الدوناتية على حد سواء، وبخاصة محضر مجمع (كارتاجو-Carthago) المنعقد سنة 256م، الذي سمح لنا بمعرفة أول أسقف كاثوليكي وهو المدعو "كريسكس-Crescens" الذي تولى مهمة الإشراف على أسقفية المدينة قبل الاعتراف بالديانة المسيحية⁽¹⁾، بينما إطلعنا من خلال محضر مجمع (كيرتا) المنعقد سنة 305م على الأسباب الدينية لظهور الدوناتية ككنيسة منشقة عن الكاثوليكية⁽²⁾، في حين سمح لنا محضر مجمع (قرطاجة) المنعقد سنة 411م الكشف عن التطورات التي عرفتتها الكنيسة الدوناتية منذ ظهورها، وحتى هذا التاريخ، هذه المعلومات التي وصلتنا من خلال وقائع تلك المناظرات التي دارت ما بين رجال الدين الكاثوليك والدوناتيين وبخاصة بيتيليانوس-Petilianus "الأسقف الدوناتى لمستوطنة (كيرتا)، والتي جمعها القديس "أوغسطينوس-Augustinus" في مؤلف خاص نشره في نهاية هذه السنة بعنوان "ثلاثة كتب في تلخيص المناظرة مع الدوناتيين - Brevicus collationis cum donatistis libri tres"⁽³⁾.

5.1.2- النصوص القانونية:

ساهم هذا النوع من المصادر الأدبية وبخاصة تلك القوانين والتشريعات الرومانية التي جمعت في سجلين ينسب إحداها إلى الإمبراطور "ثيودوزيوس الثاني-Theodosianus Codex" التي أصدرها في سنة في مستهل سنة 438م⁽⁴⁾، ويرجع الثاني إلى للإمبراطور "جوستينيانوس-Codex Justinianus" (528-565)⁽⁵⁾، في تسليط الضوء على جوانب مهمة من الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية لمجتمع بلاد المغرب القديم بما فيه المجتمع "الكيرتي" في ظل الاحتلال الروماني، وبخاصة في معرفة تدهور وضعية المزارعين خلال القرن الرابع ميلادي، بعد صدور قانون سنة 332م، الذي حظر عليهم العمل في ضيعة مالك آخر، وقانون سنة 365م الذي منع عليهم بيع ممتلكاتهم إلا بإذن أسيادهم، بينما حضر عليهم القانون الذي صدر في سنة 396م إقامة دعوة ضدهم.

1- Concile de Carthage, 2d. Hartel, Vienne, 1868, p411n8.

2- Optat, 1, 13, 14, P.L, col 910-915 ; Augustinus, Contra Cresconium, III, 27-31, P.L, XLIII, col 511-512.

3- Augustinus, Brevicus collationis cum donatistis. Paris, P.L, TXLIII, édition Migne, 1845.

4 - Codex Theodosianus (= C.Th.) éditions Th. Mommsen et P. Meyer, 2 édition, Berlin, 1954.

5- Codex Justinianus (= C.J.) Recognovit, édition Paulus kruger Berolini apud weidmannos, 1888.

وسمح لنا القانون الذي أصدره الإمبراطور "كونستانس-Constans" (323-350م) في سنة 342م بمعرفة التغيرات التي طرأت على أسس التفاوت الطبقي الذي ارتبط بامتلاك الثروات العقارية بدلا من الثروات النقدية التي كان معمولا بها في السابق، إلى جانب مرسوم سنة 374م الذي أصدره الإمبراطور "فالنتينوس الأول-Valentinianus I" (364 - 375م)، والذي أعفى أساتذة الرسم "Picturae professores" وعائلاتهم، وعبيدهم ببلاد المغرب القديم من ضريبة الرأس، والضريبة على مبيعاتهم الفنية، وغيرها من القوانين التي تطرقت لموقف الأباطرة من الحركة الدوناتيية بدءا بالإمبراطور "جوليانوس-Julianus" (354-363م)، وحتى الإمبراطور "هونوريوس-Honorius" (395 - 423م)، هذا الأخير الذي أصدر في 30 جانفي من سنة 412م قانونا، تضمن العقوبات التي فرضت على الدوناتيين الذين لم يعودوا إلى الكنيسة الكاثوليكية مخالفين بذلك القرارات التي توصل إليها اجتماع (قرطاجة) المنعقد في سنة 411م، مما أتاح لنا معرفة مختلف الشرائح الاجتماعية التي اعتنقت هذا المذهب، كما أنه يعد أكثر وضوحا فيما يخص الهرم الاجتماعي، إذ يمكن من خلال مقدار الغرامة المالية المفروضة على الفئات الاجتماعية معرفة مكانة هذه الأخيرة في السلم الاجتماعي هذا من ناحية، كما أنه يدلنا من ناحية أخرى، أن الموظفين الذين كانوا يساهمون بحكم وظائفهم في تحقيق الأهداف الاستعمارية السياسية الاقتصادية والثقافية التي كانت تطمح إليها السلطة الرومانية مثل أساتذة النحو والخطابة والفلسفة والمهندسين المعماريين والأطباء، هؤلاء الذين أصبحوا منذ هذا التاريخ يحتلون المرتبة الخامسة في السلم الاجتماعي⁽¹⁾.

2.1.6- كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين:

نضيف إلى هذه المصادر السابقة، كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين التي ألفت ما بين القرن الخامس والعاشر الهجريين (ما بين القرنين 11 و16م)، والتي لها أهميتها من حيث أنها تعرفنا على بعض المعالم الأثرية لمستوطنة (كيرتا) الرومانية مثل المسرح، الحمام، قوس النصر، القناة المحمولة الناقلة للمياه، وجسر القنطرة، ويأتي في مقدمة هذه المصادر مؤلف مجهول استبصار (المتوفي سنة 1180 م) الذي زار هذه المدينة في النصف الثاني من القرن 12م⁽²⁾، وغيره من سابقه ولاحقه من الكتاب والرحالة والجغرافيين مثل "أبو عبيد عبد الله البكري" (1028 - 1094م)⁽³⁾ و"أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي" (1100 - 1165م)⁽⁴⁾، و"حسن بن محمد الوزان"⁽⁵⁾ (1483 - 1555م).

2.2 - المصادر المادية:

تكتسي هذه المصادر أهمية خاصة في دراسة الحضارات القديمة عموما وتاريخ مدن بلاد المغرب القديم بما فيها (كيرتا) خصوصا، لا سيما بعد ضياع جل ما كتبه المؤرخون المحليون⁽⁶⁾، ولعدم فك رموز الكتابة الليبية التي عثر المئات من نقوشها⁽⁷⁾، هذا من ناحية، ونتيجة لندرة المعلومات التي تزودنا بها المصادر الإغريقية واللاتينية من ناحية أخرى، هذه المصادر التي ارتأينا تقسيمها إلى أربع مجموعات على النحو التالي:

¹-C.Th,XII,1, 33; XIII,3,1; XIII,4,4; XVI,5,22 ; C.J,X,32,20 ; XI,68,4; XII,40,8.

²-مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد. دار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985، ص 165.

³ - أبو عبيد الله البكري، كتاب المسالك والممالك، ج 2، تحقيق فان ليوفن وأندري فيزي، قرطاج (تونس)، دار العربية للكتاب - بيت الحكمة، 1992م، ص 728.

⁴ - الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق لإسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص 166.

⁵ -الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية. بيروت، دار الغرب الإسلامي، الرباط، الشركة المغربية للنشر والتوزيع، 1983، ص 55 - 60.

⁶ - يعتبر مؤلف "الكتب البونية-Libri Punica" للملك النوميدي "هيمبال الثاني-Hiempal II" (88-50 ق.م) ومؤلف كتاب "ليبيكا-Libya" لحفيده الملك "يوبا الثاني-Iuba II" (25 ق.م-23 م) المدون بالإغريقية، النموذج الأمثل لظاهرة فقدان المؤلفات المحلية، إذ أننا لا نعرف إلا ما نقله "ساليستوس-Sallustius" عن صاحب المؤلف الأول من معلومات للتعريف بأصل شعوب (بلاد المغرب القديم) في كتابه "حرب يوغرطة"، وما وصلنا من معلومات عن المؤلف الثاني من خلال "بلينيوس القديم-Plinius" في كتابه "التاريخ الطبيعي".

Sallustius, XVII,7 ; Gsell(St), Iuba II, Savant et Historien, Revue Africaine (= R.Af), 68, 1927, pp168; Désanges(J), L'hellénisme dans le royaume protégé de Maurétanie 25 avant J.C- 40 après J.C,B.C.T.H.S (=Bulletin du comité des travaux historiques et scientifiques),20-21,1989, p54.

⁷ -أسمر(م)، أهمية الفن الصخري في تابة تاريخ المغرب القديم وحضارته، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته. الرباط، مكتبة السلام، 2007م ص 159.

1.2.2- النصب البونية والبونية الحديثة:

أسفرت نتائج التنقيبات الأثرية المقامة (بقسنطينة) على اكتشاف ما لا يقل عن 898 نصب وأجزاء نصب بونية من ضمنها 63 نصب وأجزاء نصب بونية حديثة، عثر عليها بستة مناطق مختلفة من المدينة، وهي (المقبرة الأوربية) ⁽¹⁾، و(كودية عتي) ⁽²⁾، و(المنظر الجميل) ⁽³⁾، و(المنصورة) ⁽⁴⁾، وموقع (الصخرة) ⁽⁵⁾، بينما ضم الموقع الأثري (بالحفرة) الذي يقع على بعد حوالي 1 كلم غرب المدينة، أوفر عدد منها بلغ 835 نصبا وأجزاء نصب، كشف عن مجموعته الأولى التي ضمت 135 نصب، التنقيبات الأثرية المقامة فيما بين 1875-1877م من طرف الأثري الإيطالي "لا زار كوستا-L. Costa"، هذه النصب التي نقلت إلى متحف (اللوفر بباريس) ولا تزال محفوظة به حتى وقتنا الحاضر، وقد كانت هذه النصب موضوعا للعديد من الدراسات الجزئية، التي تناولت بالدرجة الأولى فك رموزها الكتابية ودراسة زخارفها ⁽⁶⁾، قبل أن يتم دراستها بصفة كلية في أحدث دراسة أنجزها كل من "سيزنكر-M. Szyner" و"بارتراندي-F. Bertrandy" في مؤلفهما القيم الذي حمل عنوان "النصب البونية لقسنطينة-Les stèles puniques de Constantine" ⁽⁷⁾.

تلت هذه المجموعة، مجموعة ثانية ضمت 700 نصب وأجزاء نصب عثر عليها الأثري الفرنسي "أندري برثي-A. Berthier" بالموقع ذاته سنة 1950م، نقلت مباشرة بعد اكتشافها إلى متحف (قوستاف مارسي-G. Mercier) سابقا، ومتحف (سيرتا) الوطني حاليا، حيث لا تزال بعضها معروضة حتى وقتنا الحاضر بقاعته البونية النوميديّة، غير أن هذه المجموعة لم تحظ إلا بدراسة جزئية نشرت سنة 1955م بعد مرور خمس سنوات من اكتشافها، واقتصرت على دراسة 305 نصبا كاملا، اشتملت على 281 نقيشة بونية وبونية حديثة، و17 نصب إغريقية، و7 نصب لاتينية ⁽⁸⁾، بينما لا تزال 395 أجزاء نصب الباقية تنتظر الدراسة حتى وقتنا الراهن.

تعتبر هذه النصب مصدر معلومات على قدر كبير من الأهمية، إذ لا يمكن للدارس المهتم بتاريخ (كيرتا) النوميديّة تجاهلها- بالرغم من رتابتها- بحكم مساهمة النصوص والرسوم المرافقة لها في إثراء معرفتنا التاريخية المرتبطة بهذه الحقبة المهمة من تاريخ هذه المدينة، وبخاصة ما يرتبط بالتنظيم الإداري والمجتمع والاقتصاد والمعتقد، والتي لم تتطرق لها المصادر الأدبية، بحيث سمحت لنا حوالي 54 نصبا بمعرفة الوظائف الإدارية، والدينية والعسكرية والمهن الحرة التي مارسها بعض أفراد المجتمع "الكيرتي" في الفترة الممتدة ما بين القرن الثالث والأول قبل الميلاد، وغيرها من النصب التي لها فائدتها من حيث أنها تتضمن أحيانا معلومات عن التشكيلة الاجتماعية للسكان من حيث أصولهم المحلية أو الأجنبية، زيادة على ما يمكن أن نستخلصه منها بخصوص المعتقد، وبخاصة ما يتعلق بالمعبودات الفينيقية القرطاجية التي أقبل على اعتناقها سكان هذه المدينة.

¹-Vicrey(M.G) ,18 stèles numidiques découvertes à Constantine, R.S.A.C,4,1858-1859,p214; Judas(A), Sur dix –neuf inscriptions numido – punique découvertes à Constantine, R.S.A.C, 5,1860 -1861, pp1-102.

²-Marchand(J), Inscriptions inédites recueillies à Constantine et dans la province pendant l'année 1865 - 1866, R.S.A.C, 10, 1866, pp17 -96 ; Arguel (M), Catalogue du musée archéologique de Constantine ,R.S.A.C,18,1876, pp113-168 ; Bosco(J), notice sur trois inscriptions puniques de Constantine ,R.S.A.C, 45, 1911,pp289-295 ; Id, A propos d'une inscription phénicienne du Coudiat Atty ,Bulletin de l'académie d'Hippone (=B.A.H),1912, 13,pp 211-216 ; Reboud (Y), Goyt(A), Excursions archéologiques dans les environs de Milah et de Constantine, R.S.A.C,20,1879-1880,p190.

³- Thepenier(E), La stèle punique de Bellevue, R.S.A.C, 46,1912, p231-236, Id, Notice sur quelques fragments puniques et romains, R.S.A.C, 48, 1914,pp 271-279.

⁴- Berthier(A), Charlier (R),Le sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine. Paris, arts et métiers graphiques, 1955, p4.

⁵- Delamare (A), Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840 – 1945. Paris, Imprimerie nationale, 1850, pl128,n°12 ; Judas(A), Seconde addition au mémoire sur dix –neuf inscriptions numidico – puniques ou mémoire sur diverse inscriptions phéniciennes, carthaginoises et néo – puniques dont cinq sont inédites , R.S.A.C, 10, 1866,p278.

⁶-Cahen(Ab), Inscriptions puniques et neo – puniques de Constantine (El Horfa),R.S.A.C, 19,1878,pp252-284 ; Berjer(Ph), op.cit,pp273-292.

⁷-Szyner(M),Bertrandy(F), Les stèles puniques de Constantine, Paris, éditions de la Réunion des musées nationaux ,1987.

⁸-Berthier (A), Charlier (A) , op.cit,pp12-165 n°1-n°281;pp167 -176n°1-n°17;pp176-178n°1-n°7.

2.2.2- النقوش اللاتينية والإغريقية:

يضاف إلى هذا النوع من المصادر المادية، عدد ضخم من النقوش "Inscriptiones" المدونة على الحجر أو على الرخام، لا يقل عددها عن 1475 نقيشة مؤرخة فيما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الرابع ميلادي، كتب جلها باللغة اللاتينية، بينما لم يتجاوز عدد النقوش المدونة بالإغريقية السبعة نقوش⁽¹⁾، هذه النقوش التي استخدم بعضها وبخاصة النقوش الإهدائية لكبار أعيان مستوطنة (كيرتا) في بناء الثكنة العسكرية بالقصية خلال فترة الاحتلال الفرنسي، واندثرت كتابتها في وقتنا الحاضر، ولولا نسخ الجنرال "كرولي-M. Creully" لها سنة 1853 منذ 163 عاما خلت قبل تدوينها في سجل النقوش اللاتينية لما تعرفنا عليها، بينما لا يزال جلها محفوظ بطريقة عشوائية في الهواء الطلق بحديقة النقوش بمتحف (سيرتا) الوطني، ونستني من ذلك المجموعة التي يحتفظ بها متحف اللوفر (باريس)، والتي أرسلها العقيد "ديلامار-A. Delamare"، وأهدي بعضها الآخر من طرف الضابط "جويل مارشو-J. Marchand"، نذكر من ضمن هذه النقوش 769 نقيشة كشفت عنها نتائج التنقيبات الأثرية المنجزة بعشر مواقع متفرقة، ولكن بنسب متفاوتة بكل من (القصة) 3 نقوش، (سوق العصر) 17 نقيشة، (باب القنطرة) 31 نقيشة، (سيدي راشد) 31 نقيشة، ساحة الثورة (أول نوفمبر-La place de la Brèche سابقا) 117 نقيشة، (الطابية) 42 نقيشة، (سوق الغزل) 40 نقيشة، (رحبة الصوف) 4 نقوش، و(كودية عتي) 484 نقيشة.

نشر جزء من هذه النقوش مباشرة بعد اكتشافها في مجلة حوليات الجمعية الأثرية للإقليم القسنطيني "Recueil des notices de la société archéologique de département Constantine"، قبل أن يتم جمعها لأول مرة من طرف علماء النقوش الألمان العاملين في أكاديمية (برلين)، بحيث أسندت هذه المهمة في البداية إلى "قوستاف ويلمانس-G. Willmans"، لكنه توفي قبل أن ينهي عمله، فخلفه "ثيودور مومسن-Th. Mommsen" الذي نشر هذا العمل سنة 1881م، والذي ضم 1000 نقيشة دونت في الجزء الأول من المجلد الثامن من "سجل النقوش اللاتينية-Corpus Inscriptionum Latinarum"⁽²⁾.

تلت هذه المجموعة، مجموعة ثانية جمعها "ستيفان غزال-St. Gsell"، ونشرها من بعده عالم النقوش الألماني "جورج هانس فلوم-G.H. Pflaum" سنة 1957م في المجلد الثاني من سجل النقوش اللاتينية للجزائر-Inscriptions latines de l'Algerie⁽³⁾، ويضاف إلى هذه السجلات تلك النقيشتين اللتين كشفت عنهما التنقيبات الأثرية المنجزة سنة 1996م بساحة (قصر الباي)، ونشرنا في "مجلة النقوش-Année épigraphique" الصادرة في سنة 2005م كما كان يصدر بهذه المجلة بين الحين والآخر مراجعة قراءة بعض النقوش السابقة الذكر⁽⁴⁾.

تضم هذه النقوش المكتشفة- التي ينسب معظمها إلى العهد الإمبراطوري، وهي أوفر عددا وأكثر أهمية وتنوعا من نقوش نهاية العهد الجمهوري "النقوش الجنائزية-Tituli sepulcrates" وهي المراثي المدونة على القبور، زيادة على "نقوش الإهداءات للمعبودات-Tituli sacri"، ونقوش "تكريم كبار الشخصيات-Tituli honoratii"، والنقوش المحفورة على "المباني والمنشآت العامة-Tituli operum publicum"، كذلك النقوش المدونة على الأحجار التي كانت توضع كعلامات ومعالم عند نهاية كل "ميل روماني-Miliaria" في الطرق

1- Inscriptions latines de l'Algérie (= I.L.Alg),T2 (de la Confédération Cirtéenne, de Cuicul et de la tribu de des Suburbures),recueillies par St.Gsell, préparées par E.Albertini et J.Zeiller, ubliées par H.G Pflaum sous la direction de L.Leshi.Paris,1957, n°468- n°1936,n°1939 - n°1941; Année épigraphique (= AE), 2005,n°1695-n°1696.
Corpus Inscriptionum Latinarum(=C.I.L.), TVIII,(inscriptions africae proconsularis et Numidae comprehendens), édition de Willmans (M) et Mommsen(Th).Berlin, 1881,pp620-682 n°6939-n°7924.

3-I.L.Alg,II,n°468- n°1936,n°1939 -n°1941.

4-Année épigraphique (= AE), 2005, n°1695 - n°1696.

الرومانية، أو الأعمدة القصيرة الفاصلة بين "حدود الملكيات الزراعية- Cippiterminales" التي كان يضعها "مساحو الأراضي- agrimensores"، ثم النقوش المدونة على مختلف أنواع الأدوات التي تستخدم في "الحياة اليومية-Instrumentadomestica" مثل "الأواني الفخارية، والمصابيح-amphorae, dolia lucernae"، و"أنابيب نقل المياه الطينية، أو الرصاصية- Fistulae plumbeae aquariae" التي تسجل عليها بيانات مفيدة، من حيث أنها تحمل أختاماً يظهر عليها اسم صاحب الورشة، وتاريخ الصنع، كما أنها تفيدنا في التعرف على المنشآت المائية للمستوطنة، زيادة على أدوات الزينة التي صنعت من مختلف المعادن مثل "المشابك، أو الدبابيس-Fibulae" و"الخواتم- Signa" التي عادة ما تحمل اسم صاحبها، أو صانعها، إلى جانب "المقاعد الحجرية-Scamnum" المزينة والمنقوشة التي تدلنا نصوصها علناً تدرج ضمن القرابين التي تقدم بها المتعبدون إلى معبود التجارة الروماني "ماركوريوس-Marcurius"، من أجل استخدامها في إحياء الاحتفالات المقامة على شرفه.

تكتسي هذه النقوش أهمية قصوى، لا لأنها تكمل ما جاء في المصادر الأدبية من نقص، وتصحح ما ورد فيها من أخطاء، بل لأنها- بخلاف المصادر الأدبية التي لم تكن إلا بالأحداث السياسية والعسكرية، كما أنها تمثل بوجه عام وجهة نظر الطبقة العليا المثقفة- تمدنا بمعلومات عن حياة الأفراد العاديين وحرفهم، وأفكارهم ومعتقداتهم، كما أنها تلقي أضواء ساطعة على بعض مظاهر الحضارة الرومانية السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والحضارية بمستوطنة (كيرتا) منذ النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد وحتى نهاية العهد القرن الرابع ميلادي، إذ أنها دللتنا بهذا الخصوص على وضعيتها القانونية، كما أنها سمحت لنا بمعرفة الكليات التي أضيفت إلى اسمها (كيرتا) في ظل هذا الاحتلال، قبل أن يتغير اسمها إلى (قسنطينة-Constantina) خلال عهد الإمبراطور "قسنطينوس-Constantinus"، كما أنها أوضحت لنا بجلاء "سلك المناصب الإدارية-Ordo equester"، أو "هيئة الفرسان-Ordo Senatus"، أو "هيئة أعضاء المجلس البلدي-Decuriones" إلى جانب تقدير الضرائب، والتوسع في منح "حقوق المواطنة الرومانية-Civitas romana"، ونشاط حركة التمدن، وثمة مجموعة من النقوش نستقي منها معلومات وافية عن التنظيم الإداري للمستوطنة وأخرى عن سلطات الأباطرة الرومان وممتلكاتهم الخاصة داخل هذه المستوطنة وطريقة إدارتها، فضلاً عن مجموعة أخرى تحتوي على معلومات قيمة عن مراسيم الديانة الوثنية المحلية والأجنبية، وانتشار المسيحية بداخل هذه المستوطنة.

هذا وسمحت لنا النقوش المكتشفة خارج النطاق الجغرافي لمستوطنة (كيرتا) والمدونة بالجزء الثامن من سجل النقوش اللاتينية، وبخاصة نقيشة (تاموقادي) بضبط سلم الوظائف الإدارية والرتب الاجتماعية داخل المستوطنات الرومانية بما فيها هذه المستوطنة في نهاية القرن الرابع ميلادي⁽¹⁾، بينما وضحت لنا النقوش الأربعة ذات الصلة ببنود التشريعات الفلاحية لقانون "مانكيانا-Lex Manciana" و"هارديانوس-Lex Hardianus"، والمكتشفة بحوض (مجردة) في كل من (هنشير مطيش)، و(عين الجمالة)، و(سوق الخميس)، و(عين واسل) فيما بين سنوات 1880-1904م، كيفية تنظيم، واستغلال "أراضي العامة-Ager publicus"، والملكيات الكبرى التابعة للأباطرة والخواص ببلاد المغرب القديم، ومعرفة تداعيات هذه القوانين على فئة المزارعين بهذه المستوطنة⁽²⁾.

3.2.2- المسكوكات :

¹- هي عبارة عن نقيشة كبيرة مؤرخة في سنة 363م بحسب "P.A Février"، وفي سنة 367 - 375م بنظر "شارل فار -Ch. Vars"، كانت تزين واجهة مقر المجلس البلدي لمستوطنة (تاموقادي-Thamugadi) مدينة تيمقاد الحالية، إذ أنها تضمنت لائحة لأعضاء هذا المجلس الذين بلغ عددهم 263 شخصاً مرتبين حسب رتبهم الإدارية، والاجتماعية، يتصدرهم خمسة أشخاص من فئة اللامعين "Clarissimi"، وخمسة من فئة المرتفعين "Perfectissimi"، وخمسة وأربعون من الموظفين البلديين، وسبعة وثلاثون من الكهنة الأبديين، ومئة وخمسة وسبعون من باقي أعضاء المجلس البلدي.

Vars(Ch),Recherches Archéologiques.....p380 ; Février(P.A), Approche du Maghreb romain, T1.Aix - en- Province, Edisud,1989,p176.

² - C.I.L,VIII ,n°10570, n°25903,n°25943,n°26416 ; Courtois (Ch) ,Leschi (L) , Perrat (Ch) , Saumagne (Ch) ,Tablettes Albertini , actes privés d'époque vandale . Paris, Arts et Métiers graphiques, 1955.

نستقي من النقود، وهي موضوع علم المسكوكات معلومات مفيدة، بل معلومات بالغة الأهمية في بعض الأحيان، وبخاصة ما يرتبط بالجانب السياسي والإداري والاقتصادي، إذ سمحت لنا سجلات النقود التي أنجزت من قبل علماء المسكوكات منذ نهاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وحتى مطلع القرن الواحد والعشرين مثل سجلات النقود التي أصدرها الباحث الألماني "مولار-L.Muller" في سنة 1862م، و"لويس شاري-L.Charrier" في سنة 1912م، و"جون مازار-J. Mazard" في سنة 1955م، إضافة للدراسات التي أنجزت بهذا الخصوص مثل أعمال "تروسال-M.Troussel" التي نشرها منذ خمسينيات القرن العشرين، ودراسة "بيار سالما-P.Salama" التي نشرها في سنة 2008م، بمعرفة العملة المكتشفة بمختلف أرجاء المدينة، والتي ترجع إلى الحقتين النوميديّة والرومانية⁽¹⁾، والتي يأتي في مقدمتها تلك النقود التي ضربها الملوك النوميديين الذين اتخذوا من هذه المدينة مركزا لحكمهم، إلى جانب تلك العملات البرونزية التي سكّت باسم هذه المدينة، والتي كشفت عنها التنقيبات الأثرية المنجزة في سنة 1888م ب(سيدي مسيد)، وبمدينة (تيديس-Tiddis) الخنق حاليا-على الرغم من قلة عددها- بحيث تعرفنا من خلالها لأول مرة على اسم مدينة (كرتن-KRTN) المدون باللغة البونية الحديثة بخلاف اسمها المدون باللغة الإغريقية واللاتينية (كيرتا-Cirta) الذي أطلعنا عليه المصادر الأدبية الإغريقية واللاتينية مثلما سبق ذكره، كما أنها سمحت لنا بمعرفة حكامها الأشفاط الذي كان محول لهم حق ضرب هذه العملة، وغيرها من المعلومات التي لها علاقة بالأنشطة الزراعية والرعية التي مارسها أفراد المجتمع "الكيرتي" خلال الحقبة النوميديّة.

يضاف إلى هذه المجموعة من النقود التي ضربت باسم المدينة في ظل السيادة النوميديّة، مجموعة ثانية من القطع النقدية البرونزية التي سكّت باسمها خلال الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد في ظل الاحتلال الروماني، هذه الأخيرة التي سمحت لنا بمعرفة الوضعية القانونية (لكيرتا) باعتبارها مستوطنة رومانية وضعت تحت حماية معبودة "العفة والشرف-Colonia Iulia Cirta Juvenalis Honoris et Virtutis"، كما أنها دلتنا على النعوت التي أضيفت إلى اسمها في ظل هذا الاحتلال.

ولا تمدنا المسكوكات فقط بتاريخ مصور لبعض الجوانب من تاريخ هذه المدينة على مَرَّ عصورها، بل إننا نستدل من التوزيع الجغرافي لأماكن اكتشافها على حقائق مفيدة، ذلك أن اكتشاف أقدم القطع النقدية الإغريقية- إلى جانب بقايا الفخار الأجنبي الفينيقي والروماني والإغريقي مؤرخ بالقرنين الخامس والرابع ميلاديين- ساعدنا في تحديد النواة الأولى للمدينة الناشئة، كما أن العثور على مجموعة من النقود القرطاجية، والإيطالية والغالية والإسبانية، ونقود بعض مدن بلاد المغرب القديم مثل مدينة (إيول-Iol) شرشال الحالية مؤرخة بالفترة النوميديّة، إلى جانب النقود التي ضربت باسم القناصلة، والأباطرة الرومان خلال خضوع هذه المستوطنة الاحتلال الروماني في أماكن متفرقة من المدينة، ينهض دليلا على وجود حركة تجارية نشيطة⁽²⁾.

4.2.2- المعطيات الأثرية:

يشتمل هذا النوع من الشواهد المادية على ثلاث أنواع أساسية كشفت عنها أعمال التنقيب الأثري التي أنجزت بالمدينة، إذ ضم الصنف الأول لقى صناعية كثيرة ومتنوعة سواء تلك المجلوبة من الخارج والتي لها فائدتها من حيث أنها تدلنا على السلع المستوردة، أو تلك المنتجة محليا وبخاصة

¹- Muller(L), Numismatique de l'ancienne Afrique, T2, Paris, 1862, p62,p97 ; Charrier(L), Numismatique africaine, Sittius, R.S.A.C., 30, 1895-1896, pp310-311; Id, description des monnaies de la Numidie et de la Maurétanie. Paris Macon, 1912, pp40-41 ; Troussel(M), Le Trésor monétaire de Tiddis, R.S.A.C., 66, 1948, pp129-176, Id, Le cheval, animal solaire, R.S.A.C., 68, 1953, p 121-174; Id L'énigme de la tête laurée et barbue à G. et du cheval galopant à gauche, R.S.A.C., 69, 1955-1956, pp 3-56 ; Mazard(J), Corpus Nummorum Numedae Mauretanaeque. Paris, Arts et métiers graphiques, 1955, pp 156-159 n° 523- n°535 ; Salama (P), Constantine et Cherchell, deux trésors romains d'Algérie : maiorinae de 348 à 354, Trésors monétaires, T23, 2007 – 2008 .Paris, Bibliothèque nationale de France, 2009, pp197 – 211.

²- Gsell(St), H.A.A.N, T5, p 274, T6, p80; Mazard(J), op.cit, pp25 – 26; Berthier(A), Charlier(A), op.cit, pp229 – 230 ; Berthier (A) Un habitat punique à Constantine, Antiquités Africaines (=Ant.Af), 16, 1981, p25.

الصناعة الحجرية التي تعتبر من أكثرها عددا وتنوعا وقدماء باعتبارها من أولى الصناعات التي تفنن في إنجازها إنسان هذه المدينة وذلك منذ العصر الحجري القديم الأسفل، إلى جانب الصناعة الفخارية والمعدنية والعاجية، هذه المخلفات التي أثارت انتباه بعض علماء الآثار منذ عمليات التنقيب الأولى، فخصّوها في تقاريرهم بدراسة وصفية تدعمها في بعض الحالات وثائق إضافية مجسدة كالرسوم والصور، وذلك بخلاف المخلفات الصناعية التي ترجع إلى فترة الاحتلال الروماني التي أشير إليها بصفة مختصرة، كما أنها لم تحظ بوصف، سواء تلك التي نقلت إلى متحف المدينة، أو تلك التي ردمت في موقع اكتشافها.

وتظل أعمال "دوبريج-A. Debruge" ذات الصلة بالصناعات الحجرية والعظمية خلال العصر الحجري القديم، ثم الصناعة الفخارية خلال العصر الحجري الحديث من أولى الدراسات التي أنجزت بهذا الخصوص، زيادة على أعمال "برثي-A. Berthier" التي تضمنت وصفا لتلك البقايا المنسوبة لـ(كيرتا) النوميديّة المستخرجة من موقع (سيدي مسيد) سنوات 1943 و1963م، ومن المعبد البوني (بالحفرة) سنة 1950م، غير أن ما يمكننا ملاحظته بهذا الخصوص، أن هذه المخلفات ظلت حبيسة هذه التقارير الحفرية، ولم توظف من أجل إمالة اللثام عن بعض أوجه التطور الحاصل بالمدينة في المجال الحرفي والتجاري، بـ(كيرتا) النوميديّة والرومانية على حد سواء.

ويتمثل النوع الثاني من هذه البقايا الأثرية في اللوحات الفسيفسائية، التي لها أهمية كبرى في تغطية جوانب اجتماعية واقتصادية مهمة لم تشملها المصادر المادية السابقة، بحيث تدلنا هذه الأخيرة التي عثر عليها بأحياء متفرقة من المدينة وبخاصة (بسيدي مسيد) و(بسيدي مبروك)، وإن كان - بطريقة غير مباشرة - على وجود فئة ثرية بمستوطنة (كيرتا)، وفئة أخرى لم تتعرض لها المصادر الأدبية ولا النقوش وهم "الفسيفسائيين-Mosaistes" على اختلاف أصنافهم، مثل "مصمم الفسيفساء-Pictormaginaris"، و"واضع الرسم على الأرضية-Pictor parletarius"، و"الفسيفسائي منقذ الصور-Musaearius"، و"المكلف بصنع القطع البسيطة-Tessellarius"، و"صانع الملاط-Calcis Coctor"، كما يستخلص منها رواج حرفة صناعة الفسيفساء إحدى مظاهر الأنشطة الاقتصادية المهمة لهذه المستوطنة، وغيرها من الحرف كالصيد البري وتجارة الحيوانات المفترسة، دون أن ننسى مساهمتها في بعض الأحيان في تسليط الضوء على بعض المعبودات الرومانية مثل عبادة المعبود "جوبيتر-Jupiter" الذي يظهر في شكل صقر على فسيفساء السباحين المكتشفة بـ(سيدي مسيد)، والمعبود "نبتونوس-Neptunus" الذي يظهر إلى جانب المعبودة "أمفتريت-Amphitrite" في الفسيفساء التي اكتشفت سنة 1842م بمرتفع (الحفرة) الذي يقع على بعد كيلومتر ونصف من جنوب المدينة⁽¹⁾.

ويضم النوع الثالث المخلفات المعمارية التي اكتشفها علماء الآثار وبخاصة مقابر فجر التاريخ مثل الجثوات، والمصاطب، زيادة على مقابر الفترة النوميديّة، وغيرها من المباني المنسوبة لهذه الحقبة مثل الحي السكني بـ(سيدي مسيد)، والمعبد البوني بالموقع الأثري بـ(الحفرة)، إلى جانب بقايا المنشآت التي شيدت خلال فترة الاحتلال الروماني، مثل سور المدينة، وأقواس النصر، وبقايا الجسور، والخزانات، والأنابيب، والقنوات الناقلة للمياه، والمعابد، والمقابر على وجه الخصوص⁽²⁾.

¹-Delamare(A), Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840 – 1845. Paris , Imprimerie nationale, 1850, pl139 –146, pl151-152; Alquier(P), Chronique archéologique 1928 – 1929 , Constantine , Mosaïque découverte rue National (6 février), R.S.A.C, 59, 1928-1929, pp401-405; Gsell(St), Lecture d'une note de Mme Alquier sur la Mosaïque découverte à Constantine le 6 février 1928 , Bulletin archéologiques du comité des travaux historiques (=B.A.C), 1928-1929, pp96 -99 ; Berthier(A), La mosaïque de Sidi M'cid (Constantine), les conditions de sa découverte et son milieu archéologique , Actes du 104 congrès national des sociétés savantes . Bordeaux, 1979, pp87-89.

²- Gsell(St) , A.A.A, f17n°126 Berthier (A) Un habitat punique à Constantine, p25.

3.2 - الصعوبات التي تواجه الباحث في التعامل المصادر:

نشير في ختام عرضنا لمجمل المصادر ذات الصلة بتاريخ مدينة قسنطينة (Cirta-Constantina)، أنه إذا ما كنا نتقف مع الدراسات الحديثة التي تجمع على اعتبار هذا النوع من المصادر أساسيا لمأ الفراغ الناتج عن نقص المصادر الأدبية أو محدوديتها، إلا أنه من واجبنا التذكير ولو بإيجاز بسلسلة من الملاحظات المنهجية، وبعض الصعوبات التي واجهتنا عند تعاملنا مع هذا الصنف من المصادر عموما، ومصادر فترة فجر التاريخ، والحقبة النوميديّة على وجه الخصوص.

إذ يصطدم الدارس لتاريخ الحضارة المادية للمدينة المحلية خلال مرحلة العصر الحجري الحديث وحتى نهاية الفترة النوميديّة، والتي تعد من أهم مراحل ومظاهر التواصل الحضاري الباكر بهذه المدينة، بإشكالية كبيرة تتمثل في صعوبة إسناد تواريخ دقيقة لمدافن فجر التاريخ كالمصاطب، و الجنّات - على قلتها -، إلى جانب الفخار المحلي النموذجي المزين الذي كشفت عنه التنقيبات الأثرية في المواقع المنسوبة للعصر الحجري الحديث بكل من (كهف الدبية)، و(كهف العروي)، و(كهف الحمام)، إذ أنه لم يصنف تصنيفا كرونولوجيا يسمح لنا باعتماده كمقياس للتأريخ ظهور نواة المدينة الناشئة.

ولا تقل الصعوبة التي واجهتنا عند محاولة دراسة هذه الحقبة، عن تلك التي اعترضتنا عند دراسة تاريخ (كيرتا) النوميديّة، هذه الصعوبات التي يمكن إرجاعها بالدرجة الأولى إلى نقص المصادر المادية ذات الصلة بهذه الحقبة، ومحدودية المعطيات التي يمكن استخلاصها منها، إذ أنها لم تتجاوز في مجملها 898 نصب وأجزاء نصب بونية، وبونية حديثة، لم تدرس كلها حتى وقتنا الحاضر مثلما ذكرناه آنفا، زيادة على بقايا بعض المعالم العمرانية المندثرة التي اقتصر على المعبد البوني ب(الحفرة)، والحلي السكاني وبعض المقابر المتناثرة بمنطقة (سيدي مسيد).

وتكمن الإشكالية الثانية في صعوبة تحديد انتمائية هذه المخلفات - على قلتها - وذلك بسبب التشابه الكبير بينها وبين معالم الفينيقيّة، لا من حيث الفن المعماري فحسب، بل أيضا من حيث المواد المستعملة في بنائها، مما لا يساعد على التمييز بينها، خاصة وأنها لا تحتوي على نقوش تزيين أبوابها، أو جدرانها، كما أن الصعوبات التي تواجهنا لدى دراسة هذه المعالم تعترضنا أيضا لدى دراستنا للقبور التي يصعب إسناد تواريخ محددة لها، بسبب تطابقها مع المدافن الفينيقيّة سواء كان ذلك التطابق من حيث طرق الدفن أو من حيث الأثاث الجنائزي.

ولا تقل هذه الصعوبة التي صادفتنا عند اعتمادنا على الفخار وبقية اللقى الأثرية العاجية والمعدنية عن تلك التي واجهتنا مع المصادر السابقة، بسبب صعوبة تحقيبها وبخاصة الفخار المحلي المزين من نوع " تيديس " الذي تواصلت صناعته واستعماله منذ العصر الحجري الحديث وحتى الفترة النوميديّة، كما أنه بالرغم من العثور على ذلك الكم الهائل من الفخار المستورد البوني، ثم الإغريقي، والإيطالي المكتشف في مختلف مواقع المدينة، والمعد لنقل أنواع مختلفة من البضائع، والذي يدل على وجود مبادلات تجارية نشيطة، غير أن معرفتنا بجوانب كثيرة من تاريخ هذه المبادلات لا يزال محدودا، وبخاصة ما يتعلق بنوعية البضائع المتبادلة، وتحديد الخطوط التجارية، وتنظيم عملية التبادل (بيد من كانت هذه التجارة؟ كيف كان يتم تمويلها؟).

يضاف إلى هذه الصعوبات تلك المرتبطة بالنصب البونية والبنوية الحديثة التي تتميز بطابعها الرتيب الذي يكاد يقتصر في أغلب الأحيان على ذكر أسماء المعبودات التي قدم لها النذر متبوعة باسم صاحبه ونسبه، ثم عبارة الاختتام التي يمكن تعريبها كالتالي (المعبود) سمع صوته (قوله) وباركه، وهي عبارة لا نجد لها في كل النصوص هذا من جهة، ومن جهة ثانية، بسبب طبيعة اللغة التي كتبت بها، ذلك أنها لغة سامية تكتب بدون رسم الحركات، وهو ما يعطي هامشا كبيرا لتأويلها من قبل المختصين، ونذكر على سبيل المثال ما هو حاصل في وقتنا الراهن بالنسبة لنقيشة (دوقة) المزوجة البونية الليبية المكتشفة سنة 1904م، والتي ظلت إلى وقت طويل مصدرنا الرئيسي الذي نعتمد عليه في إبراز جوانب مهمة من تاريخ

المملكة النوميدية، وبخاصة ما يتعلق بشجرة نسب الملك "ماسينيسا-Massinissa" التي تنتهي عند جدّه الشفط "زيلالسان-Zilalsan"، وبتشييد معبدّه —(دوقة) سنة 139 ق.م من طرف ابنه (مكييسا-Micipsa)، إلى جانب تلك المعلومات المرتبطة بالتنظيم الإداري بمدن مملكة نوميدية بما فيها (كيرتا) عاصمة هذه المملكة، غير أن هذه السنوات الأخيرة عرفت ظهور دراسة جديدة للباحث السوري المختص في اللغات السامية "محمد بهجت القبيسي" تدعو إلى مراجعة الترجمة التي قدمها "شابو-A.Chabot"، والتي اعتمدتها الكثير من الدراسات الحديثة. يضاف إلى ذلك، أن فكّر موز هذه اللغة، وفهم ما تيسّر من معانيها، يعتمد على المقارنات، والمقاربات مع لغات سامية أخرى كاللغة العبرية القديمة، ومن هنا يصطدم الدارس لهذا الجانب من حضارة (كيرتا) النوميدية بعجز الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الموضوع منذ القرن الماضي وإلى وقتنا الحاضر، عن ترجمة الكثير من الوظائف التي نقشّت على هذه النصب مثل ألفاظ "ب ت ر -PTR"، و"س و ي ت-SWYT"، و"ر و ت-RWT"، و"م ترم-MTRM"، و"ل ك ه-LQ H"، و"ه ن م ك-HN'NMQ"، إلى جانب تباين آرائهم حول معنى الكثير من الألفاظ والعبارات الواردة في النصب، وبخاصة ما يتصل بالرتب والوظائف العسكرية مثل وظيفة "ر ب م س ت ر ت-RB MSTR T" وغيرها من الوظائف، بل وحتى حول مدلول بعض المواقع الجغرافية مثل مواقع "ب ل ت-B LT"، و"س ق ن-S G N"، وغيرها من العبارات التي لها علاقة بعبادة أشهر المعبودات الفينيقيّة القرطاجية ب(كيرتا)، مثل "بعل حامون-Baal Hammon"، و"المعبودة-تانيت-Tanit"⁽¹⁾. يضاف إلى هذه الملاحظات، عدم تحلّي بعض المختصين في مجال الدراسات البونية بالدقة، مثل "بارتراندي-F.Bertrand"، و"سيزنكر-M.Szynicer" اللذان لم ينسّخا النصب البونية، والبونية الحديثة 135 التي اكتشفها "لازار كوستا-L.Costa" فيما بين سنة 1855-1877م والمحفوطة اليوم بمتحف اللوفر (باريس)، بلغتها الأصلية، وإنما اكتفيا بتدوينها باللغة اللاتينية في مؤلفهما السابق الذكر. هذا دون أن ننسى عملية نقل بعض النقوش على غرار المخلفات المعمارية ذات الصلة بتاريخ مستوطنة (كيرتا) الرومانية من مكانها الأصلي إلى مكان آخر، مما لا يسمح بتحديد أماكنها الحقيقية.

أما فيما يخص المسكوكات النوميدية وبخاصة تلك التي ضربت باسم هذه المدينة، فهناك إشكالات حقيقيان يطرحان نفسيهما حول هذا الموضوع، يرتبط الأول بالناحية الكرونولوجية لأن هذه النقود غير مؤرخة، ويتعلق الثاني بجهلنا التام بالعوامل التي ساهمت في ظهور هذا النوع من العملة. ويرتبط الإشكال الآخر بطبيعة هذه المصادر المادية الصامتة، التي يستوجب استنطاقها حذرا شديدا، وموضوعية فائقة، وهو ما يقودنا إلى ضرورة تجنب "التجني" على اللقى الأثرية، وذلك بإطلاق استنتاجات اعتباطية لا تجد سنداً تاريخياً قويا يدعمها، من قبل بعض الباحثين المشهود لهم بالكفاءة العلمية نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر "دوبريج-A.Debruge" الذي لم يتردد في استخدام لفظة "الغريبة" عند تصنيفه لبعض الأدوات المنتجة محليا، وبصفة خاصة السهام التي تختلف عن أدوات ذلك العصر بالرغم من أنها تعكس إبداعا جديدا بهذا الخصوص، كما أنه ينسب أصول بعض المخلفات الصناعية المكتشفة ببعض مواقع المدينة للحضارات العصور الحجرية الأوربية⁽²⁾، مثل الحضارة "الأورقناسية-

¹-Berthier(A), Charlier (R), op.cit,p24n9,p84n103,pp90-92n111-n112,n115.

²-Debruge (A),La grotte des Mouflon à Constantine , XXXVIII congrès de l'Association française pour l'avancement des sciences (=A.F.A.S). Lille, 1909, pp817-819; Id, La station préhistorique du Djebel – Ouach (près de Constantine), R.S.A.C,46,1912, p223.

Aurignacian⁽¹⁾ و السولترية-Solutrian⁽²⁾ اللتان ظهرتا خلال العصر الحجري القديم الأعلى ب(فرنسا)، على الرغم من أنه يعتقد أن الحضارة الأولى أصلها من شمال إفريقيا وأنها انتقلت إلى (أوروبا)⁽³⁾.

يضاف إلى ذلك تحقيب الباحث "فرنسوا بارتاندي-F.Bertrand" للفخار الحلي من طراز "تيديس" المكتشف في موقع (كهف الحمام) الأثري الذي يرجع إلى العصر الحجري الحديث، بتاريخ لا يتجاوز 300 أو 200 سنة ق.م⁽⁴⁾، وهو الذي يرقى بحسب "غزال-St.Gsell" إلى 4000 ق.م⁽⁵⁾، إلى جانب استشهد الأثري الفرنسي "برثي-A.Berthier" بالمصادر الأثرية المكتشفة بالمدينة من نصب نذرية، وقطع فخارية ذات صلة بتاريخ (كيرتا) النوميديّة التي لا يتجاوز تاريخها في أحسن الأحوال القرن الثالث قبل الميلاد ، لبث في الأصلي الفينيقي لها⁽⁶⁾ - وهي بنظرنا آراء متجاوزة - لأن أدلتها غير منسجمة مع المنهج العلمي المتعارف عليه لدى كل المختصين، لأنه لا يمكن توظيف شواهد مادية مرتبطة بالفترة النوميديّة، وبفترة التأثيرات الفينيقية القرطاجية لتأكيد على الهوية الفينيقية للمدينة، ولنفي الأصول المحلية لها، كما أن هذه الملاحظة تنطبق على جوانب كثيرة من تاريخ هذه المدينة، وبخاصة ما يتعلق ببعض الجوانب الدينية ذات الصلة بترتيب المعبودات الوثنية التي أقبل على اعتناقها سكان هذه المستوطنة في ظل الاحتلال الروماني، والتي تعودت جل الدراسات التي سبقتنا بهذا الخصوص، وذلك منذ دراسة "شارل فار-Ch.Vars" و "مارسال لوقلاي-M.Leglay"، و"أندي برثي-A.Berthier" على تصنيفها إلى مجموعتين، مجموعة أولى تشمل كبار المعبودات، يعتلي هرمها الثلاثي المقدس المعبود "جوبيتر-Jupiter"، و"جونو-Juno"، و"مينرفا-Minerva"، ومجموعة ثانية تضم صغار المعبودات، وهو ما يتناهى-برأينا - مع المعطيات التي استخلصنها من النقوش موضع الدراسة والتي بلغ عددها 124 نقيشة، وغيرها من الحقائق التي تمس جوانب أخرى اجتماعية، واقتصادية⁽⁷⁾.

● خاتمة:

هكذا نخلص في نهاية دراستنا لمصادر تدوين تاريخ مدينة قسنطينة (Cirta – Constantina) في العصر القديم إلى نتيجتين هامتين أولهما، أن معلومات المصادر الأدبية تميزت - على قلتها- بظاهرة التكرار، فالموضوع الذي يتعرض له المصدر الواحد يتكرر في غيره من المصادر، كما هذه المصادر لم تأتي إلا على ذكر معلومات بسيطة ، ساعدتنا إلى حد ما في معرفة بعض التطورات السياسية العسكرية التي شهدتها هذه المدينة في تلك الفترة الموعلة في الزمن ، لكنها لم تفصح لنا بمعلومات ترتبط بظروف نشأتها وتاريخ تشييدها وهوية مؤسسيها .

أما النتيجة الثانية فمفادها أن المعلومات المستقاة من المصادر الأدبية والمادية على حد سواء لم تسمح لنا بإعادة رسم تاريخ أم الحواضر الجزائرية في عمومياته وتفصيلاته، لأنها لم تلق إلا أضواء خافتة على مظاهر تاريخ وحضارة كيرتا على مر عصورها القديمة، غير أن هذه

¹ - امتدت هذه الحضارة من حوالي 28000 - 22000 ق.م وهي تنسب إلى كهف (أوريقناس-Aurignac) بفرنسا. ينظر: زكريا رجب (ع)، عصور ما قبل التاريخ في العالم القديم. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2008م، ص 45.

² - يرجع تاريخ هذه الحضارة إلى الفترة الممتدة من حوالي 18000 - 15000 ق.م، ويعتقد أن الوطن الأصلي لها إقليم وسط أوروبا وبخاصة الجبل والبلغاريا. ينظر: زكريا رجب (ع)، المرجع السابق، ص 46.

³ - زكريا رجب (ع)، المرجع السابق، ص 45.

⁴ - Bertand(F), Cirta , Encyclopédie Berbère, XIII . Aix-en Province, Edisud , 1994,p1965.

⁵ - Gsell(St) , Histoire ancienne de l'Afrique du Nord (= H.A.A.N)T1.réimpression de l'édition 1921 - 1928 ,Germany, Otto Vonzeller Verlagosnabruck ,1972,p350.

⁶ - Berthier(A), La Numidie,Rome et le Maghreb.Paris,Picard,1981, pp159-177.

⁷ - I.L.Alg,II,n540,n468,n471-481, n482 bis ,n482-487,n489-499,n500-n501,n529 -531,n533-534, n528,n540, n548,n598 , n569,n626,n674, n678,n682,n686, n701,n708,n709,n805,n808.

المعلومات على محدوديتها ، برهنت على الدور التاريخي والحضاري الذي ساهمت به هذه الحضارة في مجمل النشاطات الحضارية للبلاد المغاربية القديمة . عموما والجزائر على وجه الخصوص.